من جانب المناضل ضمن محدوديته الفكرية وانماط سلوكه ، ونوازعه ، وتكوينه الفردي والنفسي ، الذي افرزه المجتمع المتخلف الذي قبع سنوات بل قرون عديدة تحت ظلم الطغاة المتخلفين (الاتراك ، بريطانيا ، الاردن) وعاش طويلا في انعدام التحدد القومي والوطني ، والانسحاق الطبقي . أن سمات المجتمع المتخلف التي تشكل خلفية المكافح العفوي ، في ظل مرحلة متفجرة ثوريا لن تكون قادرة على مجابهة المحقق الذي وعى هذه الظروف وتعامل معها بافق حضاري أرقى ، ومواقف فاشستية عنصرية .

أن ضعف الاعداد وتدخل السمات الشخصية بصورتها المتخلفة الموروثة ، تجعل المناضل يقف أمام المحقق موقفا دفاعيا ، ليس هذا فحسب بل تجعل دفاعه ينحصر في أحواله الذاتية الانية بالتحديد حيث ينصرف للتفكير بالخلاص من ورطة الاعتقال ، بل وفقط من ورطة التحقيق ، التي لا تنتهي ، ولا تنتهي اساليب العنف والتطبيقات المستخدمة فيها الا وفقا لقرار المحقق في النهاية ، بغض النظر ان هذا القرار مستندا الى موقف المناضل في التحقيق ، او شخصية لمحقق نفسه ، وعليه يصبح توجه لمناضل لكسب رضى المحقق الذي لا يمكن أن يتم ، دون تقديم المعلومات له .

أن هذه العوامل التي قدمت كنموذج يمكن التغلب عليها ببساطة ، وخاصة ان المناضل الذي يجري اعتقاله، سوف يجري تعذيبه في جميع الاحوال ، وان لم يكن من اللظة الاولى أو اليوم الاول ، ففي الايام التي تلي . وما دام المناضل يصر على حماية نفسه وانتمائه من الاجراءات التي تتمخض عن اعترافاته ، وما دام يتجنب ذكر اي معلومات مهما كانت طفيفة فان مسالة التعذيب سوف لن تكون ذي بال لمكافح مسلح بالصبر والصلابة ، وجملة من المعارف البسيطة ، كمناضل أعد للكفاح اعدادا معقولا .

ويجري التغلب على مسالة الانهيار والتعاون مع المحقق على النطاق العام بما يلي :

١ ــ رفع درجة العضو المنتمي لعضوية المنظمة او الحزب سياسيا وفكريا واجتماعيا ، وتعبئته ايديولوجيا بحيث يصبح مناضلا نشطا وصلبا وعقائديا ، وهذا يجعله قطبا فاعلا وصلبا وقويا أمام رجال التحقيق .

٢ ــ ان عملية انتماء الاعضاء لا يمكن فصلها عن عملية اعدادهم وتربيتهم ، وايضا فان صحة الاطروحات السياسية الاساسية ، والنضالية ، لا يمكن أن تنفصل عن عملية تعميق أيمان المناضل ، وربطه عضويا بالنضال والكفاح بمختلف اشكاله . وكذلك فان علو هيبة المنظمة النضالية في أعين المناضلين تجعل ارتباطهم بها اكثر تعمقا بحيث يصعب على رجل التحقيق احداث هزة أو ثغرة في العلاقة بين المناضل ومنظمته اثناء عملية التحقيق . وهذا ضروري للرد على الحالات التي يتمكن فيها المحققون تشكيك ضحلي الانتماء بمنظماتهم وقادتهم من خلال ايهامهم بأن (قادتهم هم الذين وشوا بهم) ومن خلال عمليات المقارنة بين وضع المناضل في ظل ظروف التحقيق القاسية ، والمعاملة السيئة ، بينما رفاقه او قادته في اوضاع مريحة ، وربما يتلهون في المقاهي او يتنزهون في الحدائق ؟!

أن رجل التحقيق لن ينجح في هذه الالاعيب اذا كان يواجه شخصا واثقا من اهداف وسياسة منظمته ، وواثقا من رفاقه ، وقانعا بانتمائه .

٣ ــ تثقيف المناضلين بكل مجريات عمليات التحقيق، وشرحها بتفصيل وعمق ، وتبيان وضعيته جهاز التحقيق، والمناضل المعتقل عبر مراحل التحقيق المختلفة ، وتكرار هذا الشرح باستمرار مترافقا مع التعبئة الضرورية من خلال التركيز على النماذج الصلبة التي تجاوزت التحقيق